تفريغ محاضرة رقم (٣)

- دورة قضية الحكم بغير ما أنزل الله (الدورة المكثفة) -

للشيخ / خالد منصور

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى إله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد،

هنكمل كلامنا في رد شبهات أعداء الشريعة، وخصوم ملة رسول الله ﷺ ومنهج الإسلام، حول تطبيق الشريعة الإسلامية، وهل هنا الموضوع صعب أو متعسر أو مستحيل؟ وهل ما يثيره العلمانيون وأعداء شريعة رب العالمين سبحانه وتعالى أمر له حقيقة وله حيز من المصداقية؟ ولا هي مجرد نوع من أنواع التشغيبات؟ وللأسف الشديد إنها بتجد صدى في أسماع كثير ممن لم يحيطوا علماً بمنهج الإسلام ولا بكيد أعداء الدين.

طرحنا أكثر من شبهة قبل كده أظن شبهتين أو ثلاثة، وهنكمل رحلتنا النهاردة وأنا مش مرتبط برحلة الكتاب وبتنسيقه، بحسب إجتهادي الشخصي ما أراه أهم ثم ما يكون مهمًا بعد ذلك.

تحت عنوان دعوى إختلاف الفقهاء وتعدد تجارب التطبيق.

ملخص الشبهة: الجماعة العلمانيين بيقولوا: قولوا لنا بقى؛ رسونا على بر، أنتم عايزين أنهي إسلام؟ الإسلام السني ولا الإسلام الشيعي؟ طيب عايزين الإسلام السني، الإسلام السني بقى اللي هو الحنفي ولا الحنبلي ولا الشافعي ولا المالكي ولا الظاهري؟ يعني

هتمشونا إزاي؟ طب لو دخلنا شوية كده عايزين إسلام السلفيين ولا إسلام الإخوان ولا الإسلام الداعشي ولا أنتم عايزين تمشونا إزاي يعني؟ ما هو الإسلام يعني له ذوقيات، وله يعني نظريات، وله حاجات كثيرة، أنتم عمالين تقولوا: الإسلام، الإسلام، الإسلام، الإسلام اسم كبير قوي من جوة التفاصيل صعبة، فهنيجي نطبق الشريعة اللي هي الإسلامية، هيطلع لنا الناس بقى اللي هم جوه بعض متخاصمين، وجوه بعض مفترقين وهيوقفوا لنا الدنيا، أو على الاقل لو راضينا طرف هيبقى لنا أعداء من أطراف أخرى، فده ملخص الشبهة.

والكلام قد يكون له نوع ثقل عند بعض الناس، لكن لما نيجي نوزنه على الميزان الشرعي هنجد الموضوع أضعف ما يكون، وأنها شبهة متهافتة جداً جدًا، إنما نادى صاحبها على نفسه بالجهالة، أنه مش فاهم يعني إيه إسلام أصلاً؟ ولا فاهم يعني إيه شريعة، ولا يعرف يعني إيه محكمات ولا يعني إيه متشابهات؟ ولا قانون أهل الإسلام والإيمان والإحسان في التعامل مع متشابهات الشريعة ومحكماتها.

بنقول هنا: الشبهة دي تكاد تكون موضع إتفاق بين جميع العلمانيين في مسلسل الهجوم على شريعة رب العالمين سبحانه وتعالى، ومسلسل سعيهم في تعويق إقامة الشريعة، بيقولوا إيه بقى؟ أي شريعة تطبقون؟ وأي إسلام تنشدون؟ إسلام مالكٍ أم إسلام أبي حنيفة؟ أم إسلام الشافعي؟ أم أحمد بن حنبل؟ إسلام الخميني في إيران، ولا إسلام النميري في السودان؟ ولا إسلام ضياء الحق في باكستان؟ أم إسلام الوهابية في السعودية؟ إنكم لم تتفقوا على الإسلام حتى تطالبونا بإقامته، روحوا خلصوا الموضوع مع بعض، واللي يصفي في النهائيات يطلع لنا يعني، أدي النظرية، تمام؟

يقول: وهم بذلك يريدون تقديم قضية الإسلام وكأن الإسلام شرائع منفصلة، والنماذج شتى متباينة تتفاوت من النقيض إلى النقيض، ويغرق معها مُريد التطبيق في لُجج من المتناقضات والمفارقات، ثم يحملونه أوزار بعض هذه التجارب البشرية القاصرة، وكأن الإسلام هو المسئول عن هذا التشرذم وعن هذه الأخطاء، إذًا يعني بناءً على هذه الكركبة

الفكرية اللي بيعرضوها على أنها شبهة، يبقى النتيجة الإسلام غير صالح للتطبيق كنظام شامل للحياة، هذه هي الشبهة.

والجواب بفضل الله سبحانه وتعالى سهل يسير جداً، فهيكون الجواب معنا في الرحلة بتاعتنا، بتقديمٍ يسيرٍ، فنقول: ما أجهل هذا الإنسان عندما ينتصب لحرب خالقه، ويسعى في آياته معاجزًا، أو أن يسخر قلمه وفكره لخدمة أعدائه، ما أتعس هؤلاء العلمانيين عندما (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم)، وعندما يظنون أنهم يقدرون على ذلك، (وما ينبغي لهم وما يستطيعون)، فإن الله سبحانه وتعالى يأبى إلا (أن يتم نوره ولو كره الكافرون)، (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلًا).

هنرد بقى نقط واضحة في الجواب على هذه الشبهة سهلة يسيرة إن شاء الله:

أولًا/ هنقول: إن تعدد الإجتهادات الفقهية يحمل في ذاته آية الصدق على يسر هذه الشريعة، وعلى وفائها بمختلف الحاجات، وعلى صلاحيتها للتطبيق في كل زمانٍ ومكان، حيث تستطيع الأمة المسلمة أن تقتبس من هذه الإجتهادات في كلِ عصرٍ ما يرجحه الدليل، وما تقتضيه المصلحة، بواسطة أهل الحَل والعقد، الأئمة المجتهدين ده مجالهم.

وهنقدم الكلام برضه بتسهيل أبسط بنقول: إحنا استلمنا القرآن بعد ما أنزله جبريل على قلب نبينا ﷺ (ليكون للعالمين نذيرًا)، إستلمنا القرآن قسمين: محكمات ومتشابهات، (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات)، يبقى إحنا مستلمينه كده ولا إحنا اللي قسمناه؟ إحنا مستلمينه كده، هذا كلام الله، وهذا إبتلاء الله لنا.

سؤال: طب ليه كله مش محكم؟ لو كان القرآن كله محكمًا لذهبت فضيلة العلم وأهله، ولو كان القرآن كله متشابهًا لإستعصى على التطبيق والإلتزام، هيبقى ألغاز وفوازير، طب الحل؟ الحل أن يبقى فيه مستوى شعبي لجمهور الناس؛ يفهموا المرادات الشرعية وأصول القواعد الإيمانية والعبادات المفروضة، والتخصصات لأهل التخصصات، زي الطب كده، الطب فيه محكمات ومتشابهات، الهندسة فيها محكمات ومتشابهات، الجغرافيا الجيولوجيا البيولوجي السيكولوجي الفنون الأغاني، كل حاجة فيها محكمات وفيها متشابهات،

المحكمات للطبقة العامة، أصحاب الفن كله يقدر يتكلم فيه، وكله يقدر يفهم المراد، ويبقى عندنا قاعدة عامة؛ لغة متحدة، كله يعرف يتعامل مع بعضه، التخصص لأهل التخصص، وعشان كده ربنا بيقول: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنة وإبتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا اللهُ والراسخون في العلم)، إذًا دي منطقة الراسخين في العلم، حضرتك بلغت مرتبة الرسوخ؛ إتفضل حضرتك مارس رسوخك، مارس إجتهادك؛ (إن المجتهد إذا إجتهد فأصاب فله أجران، وإن إجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحد)، ما إنتش من أهل الإجتهاد يبقى رحم الله إمرءًا عرف قدر نفسه، إلزم مكانك، إلزم حدودك، إرجع مئة كيلو للوراء، وتقف في الطابور وراء خالص، وتستنى دورك على ما يجيء لك الكلام.

لأنك الكلام ده أنت بتمارسه معنا في الطب، وبتمارسه معنا في الهندسة، وإحنا ما عندناش أي غضاضة من كده، أنا مش متخصص في الطب ما أتكلمش في الطب إلا بالمعلومات الشعبية اللي أي حد في الدنيا يفهم إن الإيه؟ السخونية بنعالجها بمضادها؛ بنأخذ منخفض للحرارة، بإن مش عارف كحة إيه؟ نأخذ لها إيه؟ كلام كده يدي توجعني ندهن شوية كريمات مسكنة، إنما أعرف أعمل وأمسك مشرط وأعمل عملية جراحية، حتى لو كان قلبي زي الحديد كنت شغال جزار قبل كده وكنت بذبح مئة جمل في الساعة، لأ الجزارة شيء والطب شيء ثاني، والطب كله مش قائم على أن الدكتور قلبه قاعد، وقلبه ميت ما بيهموش وبيقطع في أي حد، لأ ده فن وقواعد بتحاكم الكبير والصغير، صح ولا إيه؟

الهندسة نفس الكلام، ممكن أقول لك والله خلي الصالة دي يمين، طب خلي الباب ده شمال، طب إعمل لي بلكونة أنا كده، ده أي حد يقول كده، إنما أعرف إرسم plan لعمارة ستين سبعين دور؟ ما أعرفش، ولو رسمته هل هيبقى الكلام مقبول معتمد؟ مش مقبول ولا معتمد، لأنه خرج من غير متخصص.

نفس المسألة أنتم ليه مش بتحترموا التخصصات في الشريعة؟ ليه مش بتحترموا التخصصات مع القرآن وكلام ربنا؟ ليه مش بتحترموا التخصصات في فهم سنة النبي

ﷺ؟ يبقى إحنا قلنا المقدمة دي مهمة، الإسلام فيه محكمات لا يختلف فيها شافعي ولا مالكي ولا حنبلي ولا ظاهري، بل لا يختلف فيها سني ولا صوفي ولا أشعري ولا شيعي، في ثوابت خلافها ما يبقاش إسلام.

أركان الإيمان الستة، يعني في مثلاً طائفة من الفصائل المنتسبة للإسلام عندها أركان الإسلام ثلاثة مش ستة؟ أركان الإيمان، عندها الإيمان بالله دي مش مطلوبة إحنا هنخش على طول على النبي كده مباشرة، سيبك من موضوع الإيمان بالله ده، عندها إن ربنا ثلاثة مثلاً أو إن ربنا وثن أو شجر أو حجر؟ أبدًا، كلهم على بعض عندهم أصل الإسلام الإجمالي، فدي رواسخ.

في باب التشريع؛ مش هيجي الشافعي ومالك يفاصلوا بعض على أن إحنا نصوم رمضان ولا نصوم نوفمبر، تمام؟ مالك وأبو حنيفة والشافعي مش هيقول إن الزنا حرام والثاني يقولوا: مكروه تنزيها؟ لأ دي ثوابت شرعية، تمام؟

يبقى أنت لازم تفهم أن إحنا شريعة الإسلام التي ننادي بها قسمين حضرتك:

نبدأ ونقول من الأول/ إن في محكمات لا تختلف بإختلاف الأزمان ولا العقول ولا الثقافات ولا المذاهب ولا الأماكن ولا الأحوال ولا الطوارئ، دي رواسخ ثابتة عقيدة وشريعة تتوارثها الأجيال ما بتتغيرش، تمام؟

الثاني/ وفي أشياء ربنا سبحانه وتعالى جعلها في المنطقة الرمادية، هي أصلاً طبيعتها كده، مطاطة سهلة جداً، مرنة متطورة، تقبل أي نوازل، وتقبل أي مستجدات، وتقبل أي مشاكل في الدنيا، وعندها حلول واقعية منطقية نافعة مستمرة شاملة عبر العصور ما بتتغيرش.

يبقى أنت ما تهدش عَلَيَ بقى بشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد، خذ بالك إن إحنا عندنا منطقة ثوابت، يبقى الثوابت هتلزم الكل، خلاص؟ طيب بقى أومال الشافعي ومالك وأبو حنيفة إحنا نوديهم فين؟ يقول لك: المنطقة دي بقى للراسخين في العلم، والمفروض إن دولة الإسلام لما بتقوم على تحكيم الشريعة إما أن إحنا يبقى عندنا النموذج القديم بتاع الخليفة

اللي بلغ مرتبة الإجتهاد؛ وهو اللي هيتكلم في منطقة المتشابهات، تمام؟ دلوقتي الحالة إتطورت ما بقاش الراجل اللي هو الرأس بتاع الدولة ولا الملك ولا السلطان، ولا الحاج ولا الرئيس إلى آخره ما بقاش عنده القدرة دي، ولا أنا بقى مطلوب منه، بقى عنده مجلس تشريعي، هو هيبدأ يضع دستور البلاد على قواعد الشريعة الإسلامية؛ الثوابت هتنحط الثوابت، والمتغيرات يناقشوها مع بعض أهل الإختصاص وأهل الإيه؟ الرسوخ في العلم، يقولوا: والله نمشي المسألة دي شافعي لإن المصالح تقتضي ذلك، أهلاً وسهلًا، نمشي المسألة الثانية مالكي لإن المصالح تقتضي ذلك أهلًا وسهلًا، نمشيها ظاهري، نمشيها حنبلي، الموضوع سهل، يبقى عنده رصيد واسع جداً جدًا للإختيار للأصلح.

وهو ده دور القائم بأمر المسلمين، هتسميه خليفة، هتسميه رئيس، هتسميه سلطان، هتسميه ملك، هتسميه أمير، هتسميه أي زي ما تسميه بقى، يعني لا مشاحة في الإصلاح، إنما ده دوره، إما أن يمارسه بالأصالة؛ إن هو بلغ مرتبة الإجتهاد وإما أن في عنده فريق وكلاء عنه في المسألة دي، وفي ممارسة الدور ده، هم اللي هيختاروا؛ تعالى شوف الموضوع، أقول لك: أولا تعدد الإجتهادات الفقهية يحمل في ذاته آية الصدق على يسر هذه الشريعة ووفائها بمختلف الحاجات، وصلاحيتها للتطبيق في كل زمان ومكان، إزاي؟ قلنا هنقتبس من الإجتهادات القديمة ما يكون أنسب لبلادنا، وأنسب لواقعنا، وأنسب لعصرنا، وأنسب لأزمتنا، وللنازلة التي نحن بصدد دراستها، تمام؟ فإذا ضاق على المجتهد؛ خليفةً كان، إماما كان، رئيسًا كان، أو مجلس النائبين عنه في السلطان التشريعي، ضاق عليهم مذهب إتسع مذهبٌ آخر، فهمتم بقى فائدة تعدد المذاهب؟ أدي أول نقطة.

الثانية: أن الإسلام الذي ننشده وينشده كل مسلم هو الإسلام الذي أنزله الله على محمدٍ كتابًا وسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة، يبقى هنا منطقة المحكمات، اللي هي عبارة عن النصوص التي لا تحتمل تأويلًا في كتاب الله، النصوص التي لا تحتمل تأويلًا في سنة رسول الله، إجماع الأمة القديم اللي هو لا بيتأثر بقى ولا بيتغير بتغير الظروف والأحوال، سثابت شرعية، ثوابت عقدية، لا جِدال فيه ولا مماراة، أما ما وراء ذلك من إجتهادات الفقهاء فهو من موارد الإجتهاد التي لا يُضيق فيها على المُخالف.

ولأهل العلم في كل عصرٍ أن يرجحوا ما تقتضيه الأدلة، ويحقق المصلحة، ولا حرج أن تتفاوت هذه الإجتهادات من قطرٍ إلى آخر، يعني مثلاً القانون المصري الصادر عن الدستور اللي بيعتمد أن الشريعة الإسلامية أو مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع، أو مصدر أساسي، أي كلام بقى زي ما هتسميه؛ إحنا طبعا مش بنهون من المسائل دي، المسائل دي يناقشها الدستوريون وأصحاب لجنة المئة وأصحاب لجنة الخمسين، الناس اللي لها صالحيات تتكلم تتفضل تتكلم، لكن إحنا بنقول: إحنا عندنا هنا دلوقتي الناس ممكن يأخذوا مثلًا في قانون الأحوال الشخصية هيعتمدوا المذهب الحنفي في مصر مثلاً، غيرهم هيعتمدوا المذهب المالكي، غيرهم هيعتمد المذهب الشافعي، غيرهم المذهب الحنبلي، غيرهم هيعمل خليط، هيزود نسبة المالكي شوية لأنه في باب المعاملات أوسع، والثاني هيزود نسبة الحنفية شوية لأنه في باب السياسة الشرعية أقعد، ويبدأ ده خلطة هو بقى يزود هنا شوية، يقلل هنا شوية، ده الأمر لهم هم، مش لآحاد الناس، ولا لأصفار وجهال ونكرات العلمانيين الذين لا صلة لهم بشريعة رب العالمين سبحانه وتعالى.

يبقى لا حرج أن تتفاوت هذه الإجتهادات من قطرٍ إلى آخر، يبقى هيبقى هوى المصريين شافعي، ماشي مشيه شافعي، عادي ما المسألة منطقة متاحة، نظر فيها القائمون بأمر المسلمين نظرًا مصلحيًا، فقالوا: والله شايفين إن كلام الشافعي في الحتت دي أنسب لأهل عصرنا وأنسب لأهل مصرنا، الناس الثانيين قالوا: لأ، إحنا يعني والله الناس درجوا على المذهب المالكي طول عمرهم، وأحوال الشخصية والأسر إلى آخره، وكان مسائل العقوبات إلى آخره، والله المالكية يعني شايفين أنسب شوية فده مجال متاح، طبعًا على بشرط إن هو إيه؟ لا يصطدم مع كليٍ شرعي، لا يصطدم مع مُحكم من المحكمات.

يبقى لا حرج أن تتفاوت، هذه الإجتهادات من قطرٍ إلى آخر حسب ما تقتضيه المصلحة، وحسب يرفع الحرج عن المكلفين، بل ولهم أن يعيدوا النظر فيها من حينٍ لآخر، كلما طرأت ظروف وإستجدت مستجدات وتعددت النوازل، إذا كان أبو حنيفة زمان أبو الفقهاء، قال: إنما نحن بشر، والمنتج بتاعنا عبارة عن إجتهاد نظري، نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً، ونقوله غداً ونرجع بعد غد، إنما الحجة في الحديث، ومالك إمام عالم المدينة وإمام

الأئمة يقول: (إن نظن إلا ظنًا وما نحن بمستيقنين)، ده في أصول الدين؟ لأ، ده في ثوابت الشريعة؟ لأ، أومال فين في المنطقة الرمادية؟ هو ربنا أداها لنا كده، إتحرك هنا، واسعة عندك الحتة دي، إتصرف في الحتة دي.

قال: النقطة الثالثة: إن تفاوت الإجتهادات، وتفاوت التفسيرات في الأمور الجزئية ظاهرةٌ طبيعية لا يكاد يخلو منها تشريعٌ سماوي، ولا تقنينٌ أرضي وضعي، بل ولا علم من العلوم البشرية، زي ما قلت لك في الفيزياء فيها ثوابت ومتشابهات أو محكمات ومتشابهات، الكيمياء كده، الطب كده، الهندسة كده، الفنون كده، ثقافات كده، تمام؟

يقول: ألا تختلف المحاكم الوضعية في قوانينها؟ سؤال؛ أنت بتقول لي: الإسلام فيه حنبلي وفيه شافعي وفيه مالكي، طب سؤال: كل دساتير العالم إسطمبة واحدة ما بتتغيرش اللي هي الوضعية البشرية العلمانية ولا مختلفة من بلد لبلد، ومن عصر لعصر، من رئيس لرئيس، ومن مجلس تشريعي لمجلس تشريعي؟ وكل شوية يهدوا ويبنوا، ويبنوا ويهدوا كل شوية، ألا تختلف المحاكم الوضعية في تطبيق القانون؟ أو في تفسيره؟ فتقضي بينها محكمة النقض بحكمٍ باتٍ يرفع الخلاف؟ لإن النصوص الدستورية أصلًا فيها بعض الأماكن مشتبهة، يعني كلام ربنا يا راجل اللي نازل من فوق سبع سماوات فيه محكم ومتشابه، وأنت عايز الدستور المصري ولا الدستور الهندي كله محكم؟! نجيبه لك منين ده؟

ما هو الجماعة إياهم أيام بقى لجنة المئة، وأيام لجنة الخمسين، يقول لك: المادة رقم مش عارف إيه؟ ممكن ينعمل فيها وممكن ينعمل فيها، طب سؤال: هو قرآن أصلاً ما فيهوش من ده؟ الكلام اللي نازل به جبريل من فوق سبع سماوات على قلب النبي ﷴ عشان يبقى نبي ويبقى رسول، ويبقى دينه حاكم لقيام الساعة، ما فيهوش متشابهات؟ ما قرأتش الآية (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات وأخر متشابهات) فإن كان التشابه في كتاب الله ففي غيره من الكتب أولى، فإن كان القرآن حمالًا ذو وجوه ففي غيره من الكتب أولى وأولى وأولى، صح ولا إيه؟

يبقى هنا بنلزمهم بالإختلاف الواقع مش بنفتري عليهم كذبًا، ولا بنكبر الموضوع، بس بنقول لهم: لو سمحتم لو مش واخذين بالكم خذوا بالكم، ألا تختلف المحاكم الوضعية في تطبيق القانون أو في تفسيره فتقضي بينها محكمة النقض بحكمٍ باتٍ يرفع الخلاف؟ ألا يختلف علماء القانون الوضعي في شروح القوانين واللوائح الإدارية؟ ألا يختلف الأطباء والمهندسون وسائر الفنيين في كثير من فروعهم وتفصيلاتهم؟ (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً)؟، وما لهم يجعلون من الظواهر العادية مَسَبةً ومطعنًا ما داموا يتحدثون عن الإسلام؟

النقطة الرابعة: هؤلاء العلمانيون القائلون بهذه الشبهة دائمًا يكيلون بألف مكيال، ويزنون بألف معيار، فعندما يتحدثون عن الإسلام نجدهم يشغبون عليه بإختلاف المذاهب وتعدد التجارب في التطبيق، وعندما يتحدثون عن مذاهبهم الوضعية وعقائدهم السياسية لا يكادون يتفقون على تعريفٍ محدد لما يطلبونه، ولما ينادون به من نظرياتهم السياسية والقانونية، ولا يجدون في تعدد المدارس الثقافية والفلسفية السياسية وغيرها، لا يجدون أدنى حرج، يعني أحرام على بلابله الدوح، حلال للطير من كل جنس؟ يعني التعدد عندنا كخة وعند الناس كلها حلو وعليه سكر، لماذا نكيل بألف مكيال؟

ولنتأمل هذه العبارة عن الماركسية لأحد المركسيين المعروفين؛ ماكسيم رودستون الكاتب اليهودي الفرنسي يقول: الحقيقة، ده بيتكلم عن إيه؟ عن مذهب سياسي فلسفي ثقافي واحد إسمه المركسية، المركسية دي أول ما تفكرك كده بتفكرك بإيه؟ بالإلحاد على طول، رشق كده على البيت الأحمر، وأنت ماشي الناحية دي، بيقول: الحقيقة أن هناك مركسيات كثيرة، من أول القصيدة أهو، من على وجه القفص خالص، بره لسه ما قلناش: يا هادي حتى، لسه بنلين يعني، الحقيقة أن هناك مركسيات كثيرة بالعشرات بل بالمئات، ولقد قال ماركس أشياء كثيرة، ومن اليسير أن نجد في تراثه ما نبرر به أية فكرة، يبقى كلام ماركس فيه محكمات أساسًا؟ كله متشابهات، أي حد عايز يمشيه شمال يمشي شمال، يمين يمشي يمين، يرجع وراء معه ماركس، يطلع قدام ماركس واخذه في ذراعه، يعني بتاع كله يعني، أي حاجة تمشي في أي حتة، تمام؟

يقول: ومن اليسير أن نجد في تراثه ما نبرر به أية فكرة، إن هذا التراث ده هو بيعلق بقى الجماعة الفرنساوي اللي هو الفرنسي الماركسي ده، إن هذا التراث كالكتاب المقدس، أسفار التوراة والأناجيل وملحقاتها، حتى الشيطان يستطيع أن يجد فيه نصوصًا تؤيد ضلالته.

ولنتأمل هذه العبارة عن عن الإشتراكية لماكسيم لورا حيث يقول: لا شك أن هناك إشتراكيات متعددة، فإشتراكية بابون تختلف أكبر الإختلاف عن إشتراكية برودون، وإشتراكية سان سيمون وبردون تتميزان عن إشتراكية بلانكي، وهذه كلها لا تتماشى مع أفكار لويس بلان وكابياي وفوربيه وبيكور، وإنك لا تجد داخل كل فرقة أو شعبة إلا خصومات عنيفة، تحفل بالآسى والمرارة، ولسه إحنا في إتجاه واحد، يعني ما سبناش الماركسية ورحنا لغيرها، ده جوة عش الدبابير بس لوحده.

وليست الديموقراطية بأقل حظًا من الإشتراكية في هذا التعدد، فنحن لا نكاد نجد مذهبًا في هذا العصر ليبراليًا أو إشتراكيا أو شيوعياً إلا ويدعي أن ديمقراطيته هي الديموقراطية الحقة، إحنا اللي معنا النسخة الأصلية، version بتاعنا اللي ما فيش منه، وكلًا يدعي وصلاً لليلى، وأن ما عداها زائف ومدخول، ولا يخرجنا من هذا الجدل وهذا الغموض الإحتكام إلى معايير خلقية أو روحية، لإن كل هذه المذاهب تَدَعي الحرص على الثالوث الفرنسي، كله هيقول: الإخاء، الحرية، المساواة، والتفاصيل بقى كل واحد يعني وصحته، المهم أن هو الثالوث زواياه الأساسية كله بيقول: إخاء، وحرية، ومساواة، ولا لإحتكام إلى معايير إجتماعية موضوعية، لإن كل مذهب سيبرز معياره، فالماركسيون يبرزون المعيار الإقتصادي، والليبراليون يبرزون المعيار السياسي، ويميزون ديمقراطيتهم بالحرية السياسية، ثم يتحدى الصينيون هؤلاء وهؤلاء ويبرزون ما يسمونه بالديمقراطية الجديدة، حتى في ديمقراطية صيني، تخيل أنت بقى! يعني ما سابوش أي حاجة إلا أما عملوا نسخة تقليد.

يقول: كما يتحداها الثُوار الأسيويون والإفريقيون من خلال ما يسمونه بالديمقراطية الإشتراكية وهكذا، هذه هي المذاهب الوضعية التي ينادي بها هؤلاء العلمانيون، فلماذا لم

يجعلوا من تعدد مدارسها وتباين نظرياتها مانعًا يمنع من الدعوة إليها؟ وحائلًا يحول دون صلاحيتها للتطبيق كما يريدون أن يشوشوا بذلك على الإسلام؟ ما بال الإسلام وحده هو الذي يُكال له بهذا المكيال الظلوم؟ أليس هذا هو التطفيف الذي نعاه القرآن على أصحابه؟ (ويل للمطففين * الذين إذا إكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليومٍ عظيم).

النقطة الخامسة: بيقول: أما الأخطاء التي صحبت بعض التجارب، هيقول لك: طب ما هم الإسلاميين فشلوا في الحتة الفلانية، وفشلوا في المكان الفلاني، وعندنا نموذج أسود من قرن الخروب في الجيل الفلاني، والجيل اللي بعديه كرر نفس الخطأ، إلى آخره، إيه رأيك بقى؟ إسلام إيه اللي أنت عايز تطبقه؟ هتقوم قوم متى؟ ده على مذهب مين؟ وعلى طريقة مين؟ ونموذج مين هو النموذج المرضي؟

فهيرد هنا يقول: وأما الأخطاء التي صحبت بعض تجارب التطبيق فوزرها على أصحابها، والإسلام منها براء، هذا هو الذي تقتضيه الموضوعية في التقويم، والإنصاف في الحكم، ولكن أنى لهؤلاء العلمانيين أن يتحصلوا هذه الموضوعية أو أن يتسموا بهذا الإنصاف، وهم الذين تنغل قلوبهم حقداً على الشريعة وعداوةً لأنصارها.

ومرة أخرى نرى التطفيف في منطق هؤلاء العلمانيين، فعندما يتحدثون عن فشل المذاهب الوضعية في بلاد الإسلام نجدهم يبرئون هذه المذاهب ذاتها، ويلتمسون للفشل أسبابًا أخرى، هنقول له: طب ما هي الشيوعية كانت في مصر أخذت لها فترة كده، تمام؟ وكنا بننادي بالمذهب الأحمر فترة طويلة، وأخذنا منه جنينا منه المرار، تمام؟ وقبله القومية العربية وعملت ما عملته، وقبله الديموقراطية في بلاد كثيرة وظهرت عورات وسوءات يعني تزكم رائحتها الأنوف، وبعدين؛ يقول لك: لأ، هو الغلط مش في المذاهب، الغلط في الناس الغُشم اللي مش فاهمين المذاهب، طب إيه المشكلة؟ ما هو نفس القاعدة، الإسلام براء من أخطاء من حاولوا تطبيقه فلم يفلحوا.

فهنا بيقول بقى؛ لما نيجي نتكلم عن تطبيق النموذج الإسلامي في بلد من البلدان على طول يتصيدوا الأخطاء، وإحنا ما بنسوغش لهذه الأخطاء، ما نقولش إنها صح، لأنها أخطاء، بس مش من الإسلام ذاته، إن هؤلاء الناس تعجلوا، إن هؤلاء الناس لم يتعقلوا، إن هؤلاء الناس لم يرجعوا لأهل العلم الكبار، إن هؤلاء الناس حاربوا سنن الله الكونية، إن هؤلاء الناس لم يراعوا موازين القوى والمصالح والمفاسد، إن هؤلاء الناس فيهم من الأخطاء والجهالات والضلالات ما يسد الأفق لكن الإسلام بريء من ذلك.

قال: إنهم يعتذرون لفشل الإشتراكية في مصر بقِصَر المدة، قال لك: هو إحنا لحقنا؟ وبعدم الجدية في التطبيق، وأنها كانت إشتراكية بغير إشتراكيين، فالمكلفون بحراستها كان يتم إختيارهم على أساس الولاء وليس على أساس الكفاية، أجل يعتذرون بهذا عن فشل الإشتراكية والديموقراطية، في الوقت الذي يحاسبون فيه باكستان على بضع سنين، والسودان على سنة أو سنتين، ولا يقولون: إنها كانت تنقصها الجدية الكافية في التطبيق، أو إنها كانت عملية إسلامية بغير إسلاميين، ليه ما نقولش كده؟ عملية إسلامية بغير إسلاميين، ناس لم يرتقوا إلى مستوى الإسلام، فعشان كده وقعوا، ناس لم يفهموا الإسلام حق فهمه، عشان كده لبسوا في الحيطة، ناس لم يعروا قواعد الإسلام العامة المُلزمة المجمع عليها أي رعاية، يبقى إزاي يوصل لنتيجة؟ إزاي يوصل لبر الأمان؟ ناس كانت كل بضاعاتهم الحماسة والإستعجال أو شهوة الرياسة، ولما يقع على دماغه يبقى الإسلام اللي يقع على دماغه! لا ما وقعش على دماغه.

يقول: فيا أيها السادة ألا ينقطع مسلسل الكيد والتآمر على هذه الشريعة ما دام هناك يوسوس؟ لن ينقطع مسلسل الكيد والتآمر على هذه الشريعة ما دام هناك شيطان يوسوس، ويوحي إلى أوليائه زخرف القول غرورًا، وأولياء له من الأنس يصغون له، ويطيعونه على ذلك، ويتخذونه ولياً من دون الله، ولتسمعن من هذه المقولات الكثير والكثير مما يوحي به الشيطان إلى أوليائه ليجادلوكم (وإن اطعتموهم إنكم لمشركون).

نفس النموذج ده تكرر زمان أيام النبي، جماعة عباد حجارة وعباد الفروش والفروج راحوا يعايروا أصحاب النبي ﷺ أن هم مش فاهمين الإسلام صح، إيه الشبهة في تفسير قول الله عز وجل: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)؟ جاء واحد كده وثنى دماغه عجباه، راح لبعض أصحاب النبي قال لهم: قولوا لي بقى: أنتم بتزعموا أن أنتم بتحبوا ربنا، وتقدسوا الأمر الإلهي، وبتلتزموا الشرع السماوي، وربنا هو الكل في الكل، وما فيش أي حاجة بعد كده لها قيمة، والحياة من دون الله سراب، طب قولوا لي بقى: الحاجة اللي بتموت موتة ربنا من الحيوانات ما بتأكلوهاش، واللي بتموتوه بأيديكم أنتم بتأكلوه، فين بقى حبكم لربنا؟ هي دي المحبة يا بتوع المحبة؟ فين إحترامكم وتقديسكم لأقدار الله في مخلوقاته؟ هو كده بقى، بقى اللي ربنا مالك الملك رب العالمين يقتله بيده، تقولوا عليه ميتة ما ينفعش، واللي أنت تذبحه بيدك الضعيفة الخطائة الأثمة اللي كلها قصور وعجز ونقص، يبقى هو اللي حلو وحلال ومُذكى؟ فبعضهم قالوا: إيه ده صح، ده كده إحنا غلطانين، فراحوا يسألوا النبي ﷺ يشتكون إلى هذه الشبهة، شوف شكلها بجد إنما هي هواء أصلًا كلام فاضي، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ردًا على هذه الشبهة، (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)، وجاوب الشبهة سهل يسير، إن الذي قتلها هو الذي حرَمَها، وأن الذي أمرنا بقتلها هو الذي أحل لنا أكلها، والسلام، شكرًا، نزلنا الموضوع مش محتاج كلام أكثر من كده.

هو مين اللي قتلها؟ ربنا، هو اللي قال اللي أنا أقتله ما تأكله، هو إحنا قلنا؟ إن نحن إلا عبيد لله عز وجل، هو اللي قال كده، هو اللي قتلها، ما تأكلوش دي، (إنما حرم عليكم الميتة)، الميتة اللي أنتم ما موتهاش هو اللي حراما، هو اللي موتها وقال لنا: ما تأكلوهاش، تمام؟ وبعث لكم نبي يأمركم بضوابط الذبح وضوابط المش عارف الصيد، وضوابط أكل الحيوانات، هو اللي قال اللي تموته بالطريقة دي تأكله، ولو أخطأت الطريقة دي ما تأكلش، أنا عبد، أنا بنفذ بس، واضح الأمر؟

يقول هنا: إن خلاصة هذه الشبهة أن الإسلام الذي تدعون إليه غير متفق عليه، وأن تطبيقه على مدار التاريخ قد أثبت فشله الذريع وإخفاقه التام، وأن تطبيق الإسلام وتحكيم الشريعة

يقود الأمة دائما إلى الفشل، والنماذج خير شاهد، ويرجع بها إلى عهود الظلام، ويسقط بها إلى الهاوية، هذه هي الخلاصة بإيجاز.

والنتيجة عايزين مننا إيه؟ أكفروا بالإسلام، إخلعوا ربقته، لو وجهكم شطر السادة الغربيين أو الرفاق الشيوعيين فإن عندهم ما تشتهون، (ولوا وجوهكم) شطر السادة الغربيين أو الرفاق الشيوعيين فإن عندهم ما تشتهون، ولكم في أنظمتهم ما تدعون، هذه هي الخلاصة بإختصار، تمام؟ يبقى الإسلام دين إرهاب، الإسلام دين رجعية، الإسلام دين فشل، الإسلام دين تفرق، الإسلام مش هتقوم له قومة، الإسلام نماذجه كلها فاشلة، الحل: دوروا بقى شوفها شرقي ولا غربي يعني.

الجواب أيها السادة: إذكروا قول الله تعالى: (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ءامنا بالله وإشهد بأنَّا مسلمون).

إعلموا أنكم أمام لونٍ من ألوان الردة يتولى كبرها فريق من أهل جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا، صرعتهم جحافل الغزو الفكري، خذ بالك؛ لما نيجي نقول الردة ده قرار هيئة كبار علماء الأزهر الشريف في أمثال متطرفي العلامانية؛ نصر حامد أبو زيد وفرج فودة هم اللي كفروه، إحنا ما عندناش هيئة فتوى مستقلة مضادة مناوئة مجابهة لجبهة الأزهر وإلى اللجان الرسمية يبقى ما عندناش، الأزهر هو اللي أفتى بكده، وبإجماع، ما فيهاش مش أكثرية ولا حاجة، نصر حامد أبو زيد قالوا لهم: ده مرتد مُهدر الدم، فرج فودة من قبله قالوا لهم: ده مرتد مُهدر الدم، وأساتذة كبار رؤساء شريعة وناس متخصصين، وما زالوا يعني لهم إسمهم في السوق العلمي وفي المؤسسات الرسمية في البلاد.

فلما نقول: أننا أمام ردة يتولى كبرها فريق من أهل جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ما بنكفرش كل واحد ولو إنتسب إلى هؤلاء، لإن إحنا طبعًا عندنا قاعدة طويلة عريضة قلناها في أول الرحلة: التفريق بين النوع والمعين، وأن هذا النوع من الكفر قد يكون غامضًا على كثيرٍ من الناس، فقد تكون المقالة كفرًا، ولا يصح القول بتكفير قائلها على التعيين إلا بعد إستيفاء الشروط وإنتفاء الموانع، والله أظهر كلامًا بقى لا يحتاج إلى إقامة حجة، والكبير والصغير

فاهم هو بيقول إيه؟ اللي يشيل قربة مخرومة تخر على دماغه، مش إحنا اللي نادينا، هو اللي نادى بالكفر.

وبعدين خذ بالك في بعض الناس مش زعلانين يعني أن هم مرتدين، أو حُكِم عليهم بالردة، أو يجدوا غضاضة أن هو يُحكم عليهم بالكفر، ما تتصورش أن هو أنت لما تقول له: إن فلان ده كافر، إن هو يبقى زعلان، عنده حساسية، يقول لك: طب وأنت ما لك أنت!

يعني أنا بأكلم واحد من الوحايد، ده من زمان، موقف شخصي كده، بأقول له: حضرتك الكلام اللي بتقوله ده خطير جدًا، ده لازمه الكفر ببعثة الأنبياء من أساسه، قال له: طب وأنت زعلان ليه؟ أنا كافر بالأنبياء، أنت حاجة تعباك! والزبيبة في وجهه قد كده! مش راجل مثلاً جايبه من بار ولا جاي سكران! الزبيبة وبيصلي بالناس إمام! فبقول له: ده كده كفر يعني أحمر من أبو سبع رجول ده! ما فيهاش كلام خالص! قال له: طب وأنت زعلان ليه! ده فيه كفر؛ هو أنت حاجة وجعتك! أنا كافر، أنت زعلان ليه ؟ مش مثلاً إزاي تقول علي كافر أنا أعرف ربنا أكثر منك! وأنا بأحب ربنا من قبل ما أبوك يتجوز أمك،،، إلى آخره بقى! لأ هو عنده الموضوع إيه يعني عادي! كافر طب أنت زعلان ليه كافر! فيعني ما تدافعوش عن الناس ما هماش موجوعين أصلًا يعني، تمام؟

فهنا بيقول: أيها السادة، إننا نود أن نوقفكم على أمرٍ محكمٍ في هذه الشبهة ينأى بكم عن الدخول في كل هذه التفصيلات، يتلخص في هذه الأسئلة، ألم تأمر محكمات النصوص بالتحاكم إلى ما أنزل الله؟ سيبك من القصة دي كلها، وتعالى، ربنا سبحانه وتعالى لما يأمر بالتحاكم إلى شريعته، ده مُحكم ولا متشابه؟ طيب نوديه فين؟ نطبقه إزاي؟ ونُحكم مين؟ ونمشي وراء كلام مين؟ وراء كلام حضرتك وأنت ما تعرفش تقرأ الفاتحة نظرًا من المصحف، وعايز تقول للناس كتاب وسنة بفهمي أنا مش بفهم الأئمة ولا الكبار والعلماء ولا المؤلفين ولا المنصنفين ولا أئمة المذاهب ولا المفسرين ولا أئمة اللغة لأ هو عايز يمشي قرآن على كيفه هو، هو ده المراد، هو ده المطلوب.

ألم تأمر محكمات النصوص بالتحاكم إلى ما أنزل الله، وتنفي الإيمان عمن أراد التحاكم إلى أحدٍ من دون الله، وتجعل إدعاء الحق في التشريع المطلق إشراكًا بالله؟ أن الجواب عن هذا كله معلومٌ لدى أهل العلم بالضرورة من دين الإسلام.

تعال شوف بقى الأدلة الظاهرة جدًا، (وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم وإحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فإعلم أن ما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرًا من الناس لفاسقون).

وقال سبحانه: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالًا بعيدًا).

وقال عز من قائل: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً).

وقال سبحانه: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون).

هل نُسخت هذه النصوص؟ أم لا تزال تخاطبنا كما خاطبت الجيل الأول؟ وستظل تخاطب الأجيال القادمة إلى يوم القيامة؟ أجيبوا يا أولي الألباب.

إذا تماهدت الإجابة على هذا السؤال بأنها أي الآيات، لا تزال تخاطب البشرية إلى قيام الساعة فإننا سننتقل معكم إلى السؤال التالي: هل يكلف الله عباده بما لا طاقة لهم به؟ لكونه مختلفًا عليه يستحيل تحديده، أو لإن تطبيقه يحيل حياتهم إلى جحيمٍ مستعرٍ من المظالم والمفاسد؟ أن إجابوا بالإيجاب؛ قالوا: أه، ربنا بيكلفنا بما لا نطيق، والإسلام ده هيعمل لنا فتنة طائفية، والإسلام ده جاء لإيه؟ ليدمر العالم من خلال إثارة القلاقل والمشاكل، لو قالوا: أه، فقد حكموا على أنفسهم بالكفر، وإن أجابوا بالنفي خُصموا، يعني غلبوا، إذ لو كانت الشريعة من الأمور المائعة التي لا تنضبط بضابطٍ لكان الأمر بتحكيمها وتكفير الخارج عنها نوعًا من التكليف بما لا يطاق، معنى الكلام: لو أن الشريعة غير قابلة للتطبيق يبقى

الأمر بها أمر بما لا يطاق، والشريعة لا تأتي بذلك، لو أن الشريعة غير قابلة للتطبيق بسبب الخلاف الفقهي وبسبب تنوع الأراء وبسبب أن بعض الآيات التكليفية فيها وجوه تحتملها الآية، وبناءً عليه مش هتتطبق، لو كان الأمر بالتطبيق والحالة هذه لكان أمرًا بما لا يطاق، هو مين اللي يقدر يعمل كده؟ وقد أجمع المسلمون قاطبةً على أن الإسلام لا يأتي بالتكليف بما لا يُطاق، تمام؟

(وما ربك بظلامٍ للعبيد)، ولو كان تطبيق الشريعة مما يُفرق الأمة في بحار من المظالم والمفاسد كما يزعمون، لكان التكليف بتطبيقها مفسدةً بحتة، بل يكون جورًا وسفهًا، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، إذ كيف يُحَرِم الله الظلم على نفسه ويجعله فيما بيننا محرمًا ثم يأمرنا بأمرٍ تشقى به البلاد ويشقى به العباد، ويتخذ به الناس بعضهم بعضًا أربابا من دون الله، وهل يصح وصفه بعد هذا بأنه الحكيم العليم الخبير، فإن نفوا كل هذه المفاسد لفَساد هذه اللوازم لم يبق أمامهم إلا الإقرار بأن الله قد كلف عباده بتحكيم شريعته، وأن هذه الشريعة بينةٌ لمن أراد، وأن العلم بها مقدورٌ لمن شاء، وأن في تطبيقها سعادة البلاد والعباد، ولا مَخْلَص لهم من ذلك إلا أن يجحدوا فيكفروا، أو أن يثبتوا فيُفحموا ويخصموا.

كده جواب الشبهة بإختصار وزي ما أنتم شوفتم الموضوع بسيط وسهل مش بالكلكعة اللي هم عارضينها، وطبعًا الإشكالية أن بعض الناس بيروح يناظر وهو صاحبك لم يحسن فقه العبادات بعد، وطبعًا بقى متصور أن آلات الإجتهاد تاتش سكرين وكيبورد ولا بتاع على سماعة بلوتوث، على واي فاي يعني مش عارف كم سرعة كم جيجا، يبقى كده هو حصل آلات الإجتهاد، ويبدأ بقى يناظر في ملحدين، ويناظر في علمانيين، ويناظر في الليبراليين، وصاحبك يعني أراد أن يطير ولما يُريش بعد، أنت لسه كتكوت طالع من البيضة! يعني كبيرك تنقر تحت رجليك عشان تعيش ما تموتش! إنما إنك تروح تحارب في الصقور! وأنت لسة يعني قشر البيضة لازق في جناحك! ما سابكشي! فكده ما يصحش! رحم الله إمرءًا عرف قدر نفسه! نعم!

المنطقة الرمضانية اللي في شرع ربنا منطقة المشتبهات، لا طبعًا لها ضابط وحد، (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكماتٌ هن أم الكتاب وأُخر متشابهات)، يبقى الإسلام مصادره قسمان لا ثالث له، محكمات ومتشابهات، إيه الضابط؟ يعني أنا أي آية تعجبني كده أقول عليها محكم، وأي آية تعجبني كده أقول عليها متشابه، أي منطقة كده شرعية أقول: لا دي يا أبيض يا أسود، وأي منطقة ثانية يقول لك: خليني في الرمادي أصل أنا راجل وسطي، لأ مش كده طبعًا، الموضوع ليس بالهواء وليس بالتشهي، الذي أنزل هذا الكتاب عرفنا ما هي البينات، ولسان العرب الذي نزل به القرآن يُفرق بين ما كان نصًا لا يحتمل تأويلاً وما كان مجملاً أو مطلقًا أو عامًا أو مُبهمًا أو يحتاج إلى تفسير بمجرد العربية، يعني بمجرد فقط التي نزل بها القرآن، عندك مرحلة التمييز بمقتضى اللغة، وبعد كده عندك مسائل العلماء رحمهم الله تعالى أجمعوا عليها وسلموها جيلًا بعد جيل، ودي منضوية تحت قول الله عز وجل: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم)، يبقى دي عقوبة ولا مثوبة؟ عقوبة لأنه عمل خير ولا شر؟ شر مدقع، تمام؟

يبقى هنا دلوقتي سبيل المؤمنين ده لو ما هوش واضح؛ ربنا يأمرنا بإلتزامه إزاي؟ فسبيل المؤمنين كما قرر علماء الأصول رحمهم الله هو إجماع الأمة القديم الذي ورثته أمة الإسلام عن زمن نبيها جيلًا بعد جيل، وإحنا مركزين بالأصالة على الإيه؟ الزمن اللي هو قال فيه النبي: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)، يبقى إحنا بنقول: إجماع القرون الخيرية، وبينا وبينكم كتب أصول التشريع، إحنا بنقول: ده في تخصص في الشريعة، زي ما تيجي تقول لي إيه هي محكمات الطب من متشابهاته؟ مش هسأل راجل مهندس، لما أقول لك إيه محكمات الهندسة من متشابهاتها؟ مش هسأل عالم بِحار، لما أقول لك إيه محكمات السياسة من متشابهتها مش هسأل أديب وشاعر، لما أقول لك إيه أساسيات محكمات العربية ومتشابهاتها؟ مش هروح أسأل راجل بتاع لغة صينية، (فإسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون).

وأهل الذكر قسموا التشريع، مصادر التشريع، إلى: محكمات وهي نصوص القرآن والسنة التي لا تحتمل تأويلًا، والاجماعات القديمة في الزمن الذي قال فيه رسول الله: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) والقياسات العقلية المنطقية الجلية التي لا يردها ذو فهمٍ وذو عقلٍ عن دين الله سبحانه وتعالى من أئمة العلم الكبار.

أما أن كون إن واحد مجنون ويقول لك: أصل أنا مخالف الكلام ده، لا دا الكلام ما لوش معنى أصلا، طب ما هو ممكن واحد يقول للأطباء: أنا أكفر بقانون بقراطه، وبقانون الرازي، وقوانين ابن النفيس، وهعمل طبي لوحدي، أيوه أنت هتروح تعمل طب بقى في عنبر العقلاء لوحدك بعيد، والثاني يقولك: لا لا لا لا بلا فيثاغورس بلا إقليدس بلا هندسة ده إحنا بتوع الهندسة، أنا هأعمل لكم هندسة عمولة، وهأحط لكم محكمات على كيفي، متشابهات من عند الحاجة، لأ خليك أنت والحاجة بعيد عننا، ده شغل مساطيل ومهابيل ده.

يبقى إحنا بنقول زي ما ربنا قال: (فإسألوا أهل الذكر) في كل الفنون، هتسأل أهل الذكر في الكيمياء عشان تعرف محكماتها من متشابهاتها، هتعرف أهل الذكر في الرياضيات عشان تعرف محكماتها من متشابهاتها، هتعرف تسأل أهل الذكر في الآداب والفنون والعلوم إلى آخره، وسائر الثقافات تسأل المتخصصين، فإزا كان حضرتك متخصص إتفضل أدينا بضاعتك وورينا اللي عندك ونحاكمك للكبير، ونحاكمك للقواعد، أنت متطفل على هذا الفن، على هذا الباب، يبقى وسع الطريق لغيرك، واضح الامر؟

إذا فيه فاصل واضح جداً يميز عند أهل الذكر وأهل العلم بين منطقة الصوارم والثوابت، والركائز التشريعية والعقدية، وبين المنطقة الرمادية، ومين اللي يشتغل في الرمادي؛ فنان هذا الشرع، مش أي حد، مش أي حد يخش المنطقة الرمضانية يلغوص فيها، لأ هنا (والراسخون في العلم يقولون ءامنا به كلٌ من عند ربنا)، (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)، تمام؟ الراسخون العلم دول اللي هم ربنا مدي لهم صلاحية الخوض في هذه المنطقة، زي بالزبط كده الراسخون في الطب هم اللي يقدر يفصل في المتشابه بين قانون وقانون، وبين قاعدة وقاعدة، دكتور متخصص هو اللي يتكلم، يعني لما يبقى تلامذة

مثلاً لسه هم بتوع إمتياز طالعين من كلية طب بعد سبع سنين دراسة، وبعدين جاءت إشكالية وهو في الطوارئ بتاعة مستشفى بيجيب رئيس القسم ولا حتى في على مستوى المستشفى، هو اللي يفصل في المسألة، صح ولا إيه؟ لأنه هيصدر عن قانون (فإسألوا أهل الذكر) سواء كان بقى بيصدر عنه قرآنيًا، بيصدر عنه ديمقراطيًا، بيصدر عنه كنسيًا، المهم إن هو رجع للكبير يعني، رجع للمتخصص يعني، رجع لأهل الشأن يعني، وده شيء طبيعي جدًا،

مكتب إستشاري هندسة فيه سبع ثمان عشر مهندسين، وده يقول له: لأ، وده يقول له: أه، طب هات الإستشاري الكبير خالص يخلص في المسألة، خلصت، كله يسكت على طول، إذا ورد نهر الله بطل نهر معقل، إذا تكلم الكبار سقط الصغار.

فإحنا بنقول لهؤلاء: ماذا تعرفون من دين رب الأرض والسماء؟ ماذا تفقهون من العربية لغة القرآن؟ ماذا تحملون من كتاب الله عز وجل؟ ماذا تفهمون من سنة النبي؟ ماذا تدرسون من كلام أئمة الشريعة؟ أين مواضع الإجماع ومواضع الخلاف في ذاكرتكم أو حتى مراجعكم؟ ولا أي حاجة، يبقى أنت بأي حقٍ تتكلم؟ أنت تتكلم ده كلامك يصير جريمة تعاقب عليها، تمام؟ أدي المسألة.

فهو موضوع فصل المحكم من المتشابه؛ المسألة مش صعبة ولا معضلة يعني.

إحنا بنقول دلوقتي: والله المتخصصين أن إحنا عندنا إزاي أصل أنا بقى راجل الدنيا أشكلت عليه - ده على المستوى الفردي بقى-، واحد في مسألة في الحلال والحرام والعقائد والأحكام دخل الكلام في بعضه، إشتبهت الأقوال على الإنسان في منطقة مأذون في الإشتباك فيها، منطقة متشابكة مش محكمة، فما هوش عارف؛ ناس قالوا له: يمين، وناس قالوا له: شمال، الأقوال الأدلة متعارضة نعمل إيه؟ الحل: هنقول والله كل برغوث على قد دمه يعني، بالمثل الشعبي المصري كده، أنت قدرات حضرتك وكفاءتك إيه؟ وأنا أقول لك إيه الواجب اللي عليك؟ أنت من أهل الرسوخ في العلم؛ الأدلة قدام حضرتك إتفضل وريني شطارتك، إنزل بحر الأدلة لآذانك وإطلع لنا بنتيجة، يبقى الإمام المجتهد ينظر في الأدلة

ليخرج بالمراد، طب طالب العلم مميز مش هيقدر يخش منه للأدلة وجه كده، لأ هيأخذ شغل فرزة ثانية بقى، هيأخذ كلام الأئمة الكبار ويعرض؛ والله مالك قال: يمين، والشافعي قال: شمال، أبو حنيفة قال: في النص، أحمد بن حنبل ساب الدنيا كلها، وفي قواعد تحكم الجميع، هيأخذ الأقوال ويحاكمها لهذه القواعد، لأنه طالب علم يميز بين الأقوال وأدلتها، ويقدر يقول: والله قول الشافعي أولى من قول مالك، قول أبي حنيفة أولى من قول أحمد، والقول الظاهري أولى من قول مشهور، كلام الفقهاء لإنه عنده آلية يحكم بها، مش بالتشهي وبالهوى، طب راجل بقى لقى له دعوة في الإجتهاد ولا هو طلب علم ولا مميز ولا ناوي على باب الله خالص يعني، يبقى دوره أهو (فإسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون).

ولذلك العلماء بيقولوا: المقلد مذهبه مذهب من يفتيه، تنتهي المسألة، ويصطلح كل فريق على حقه، ونحترم القامات العلمية زي ما النبي قال: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويعرف لعالمنا حقه).

وجزاكم الله خيرا.

نكتفي بهذا القدر.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى إله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً